من غزوات الرسول

غـــــــــــزوة أحـــــــــد

تأليف

حازم عفيفي

غزوة أُحَد

السبت 7 شوال 3هـ

كان المشـــركون بمكة يحترقون غيظًا على المســـلمين بعد يوم بدر، لم ينســـوا هزيمتهم فيها، وقتل كبار القوم منهم وكانوا سبعين، وأُسر سبعون مثلهم.

وحرَّكتهم الرغبةُ في الثأرِ والانتقام من المسـلمين إلى ضـرورةِ شـنِّ حربٍ شـاملةٍ على المدينة تردُّ لهم هيبتهم أمام قبا ئل العرب، فاتفقوا على تجهيزِ جيشٍ كبيرٍ من مالِ القافلة التي نجا بها أبو ســـفيان، وكانت ســـببًا في معركة بدر، وكانت القافلة مكوَّنة من ألف بعير، وتجارةٍ قيمتها خمسون ألفَ دينارٍ ذهبيٍ.

واســـتعد جيشُ مكة بثلاثة آلاف مقاتل من قريش وحلفائها، وكان الجيش مكون من مائتي فرس، وســـبعمائة درع، وثلاثة آلاف بعير، وجعلوا على القيادة العامة أبا سـفيان بن حرب، وعلى قيادة الفرسـان خالد بن الوليد، يعاونه عكرمة بن أبي جهل، ويحمل لواء الجيش بنو عبد الدار، وتحرك الجيش يريد غزو المدينة.

وأرسل العباس ﷺ عم النبي ﷺ برسالة سريعة إلى النبي ﷺ-وكان يكتم إسلامه بمكة- يخبره بتحرك جيش مكة لحرب المسلمين.

ووصلت الرسالةُ إلى رسولِ الله ﷺ على وجه السرعة، فشكّل مجموعات من شباب المسلمين وقفت بالسلاح على مداخل المدينة وجوانبها المختلفة لحراستها، حتى لا يفاجئها المشركون بالهجوم، وقامت جماعةٌ من الأنصار بحراسة رسولِ الله ﷺ، كانوا يبيتون على بابه، وعليهم الدروعُ، وفي أيديهم السلاح.

وأعلن الرسول ﷺ الاستعداد للحرب، فكان رجال المسلمين لا يضعون سلاحهم حتى وهم في الصلاة، وأطلق الرسول ﷺ دوريات استطلاع للتعرف على أخبارِ جيش مكة ، بينما واصل جيش مكة التقدم حتى نزل قرب جبل أُحد شمالي المدينة، فعسكروا هناك يوم الجمعة السادس من شهر شوال عام 3هـ.

وجمع الرسول ﷺ كبارَ الصحابةِ ليستشيرهم في أمر الحرب التي أصبحت قريبة.

وقصَّ عليهم رسول الله ﷺ رؤيا رآها. فكان قد رأى بقرا كثيرا يذبح، ورأى في سيفه شقًا، ورأى أنه أدخل يده في درع حصينة.

وفسَّر لهم رسول الله ﷺ الرؤية بمسلمين يرزقون الشهادة، واستشهاد رجل من أهل بيته، وأنَّ الدرع الحصينة في الرؤية هي المدينة.

لذلك كان من رأي الرسول ﷺ أن يتحصن المسلمون بالمدينة، ولا يقاتلون العدو خارجها، فإذا دخل المشركون المدينة قاتلهم رجالُ المسلمين على أفواه السكك والطرقات، والنساء من فوق أسطح البيوت.

وأشار جماعةٌ من فضلاء الصحابة برغبتهم في الخروج لقتال المشركين خارج المدينة وألحوا في طلبهم، حتى لا يظنَّ بهم المشركون أنهم جبنوا عن مواجهتهم، وأمام حماسهم وتصميمهم وافق رسول الله ﷺ على هذا الرأي واستحسنه.

وبعد أن ذهب رسول الله ﷺ إلى بيته وترك أصحابه، ندم الذين أشاروا على رسول الله ﷺ بالخروج، وخافوا أن يكونوا عصوا رسول الله ﷺ، وخالفوا أمره، وأكرهوه على ما لا يحب، ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ وعليه عُدَّةُ الحربِ من الدروع والسلاح، فاعتذروا له ألا يكونوا قد خالفوه رأيه في تحصن المسلمين بالمدينة وعدم خروجهم لقال المشركين خارجها، فقال رسول الله ﷺ:

- ما ينبغي لنبيٍ إذا لبس دروع الحرب أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

وبذلك عزم رسول الله ﷺ، وأصحابه ﷺ على الخروج للقاء العدو خارج المدينة.

وخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من المسلمين، وقسم جيشه إلى ثلاث كتائبٍ: كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها لمصعب بن عمير ﷺ، وكتيبة الأوس، وأعطى لواءها لأسيد بن حضير ﷺ، وكتيبة الخزرج، أعطى لواءها للحباب بن المنذر ﷺ، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم .ﷺ

ووقف رسول الله ﷺ يستعرض جيشه، فردَّ بعض الصحابة لصغر سنهم، منهم: عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو سعيد الخدري ﷺ، بينما سمح لرافع بن حديج ﷺ أن يشارك رغم صغر سنه؛ لأنه كان ماهرا في الرمي، فلما رأى سمرةُ بن جندب ﷺ ذلك ألحَّ على رسول الله ﷺ في المشاركة ، وقال ﷺ:

- يا رسول الله أنا أقوى من رافع!

وطلب من رسول الله ﷺ أن يشاهد مصارعته مع رافع، فلما فغلبه سمح لهما النبي ﷺ بالمشاركة في القتال.

وتحرك الجيش الإسلامي حتى أصبح يرى جيش المشركين على البعد وجيش المشركين يراه، وهنا تمرد عبد الله ابن سلول، وقال:

- لا أعلم لماذا نقتل أنفسنا؟!

ورفض الخروج لقتال المشركين خارج أسوار المدينة، وانسحب من الجيش وانسحب معه ثلاثمائة منافق!

كان هذا المنافق يريدَ من الانسحاب في هذا المكان أن يسبب الانهيار لمعنويات المسلمين وهم يرون قلةَ عددهم وكثرةَ أعدادِ عدوِّهم، وخرج لهم عبدَ الله بن حرام الأنصاري ﵁ فحاول أن يذكِّرهم بالله، ونصحهم بالعودة إلا صفوف المسلمين، وحذرهم من غضبِ الله تعالى وغضبِ رسوله ﷺ، فأساء ابن سلول والمنافقين له القول، فقال له عبد الله بن حرام الأنصاري ﵁:

- أبعدكم الله أعداء الله، سيغني الله عنكم نبيه ﷺ.

وتحرَّك جيشُ المسلمين بعد أن فقدَ ثُلُثَ عدده، وكان ذلك في مصلحة المسلمين الذين تخلَّصوا من المنافقين الذين كانوا سيسببون ضررًا شديدًا للجيش الإسلامي إن هم شاركوا في الحرب.

ووسلك رسول الله ﷺ طريقًا مختصرا بعيداً عن جيش مكة الكبير الذي كان يملأ المكان.

ونزل الجيشُ الإسلامي إلى أرض المعركة فجعلوا جبل أُحد خلف ظهورهم حتى لا يأتيهم جيش المشركين من خلفهم.

واختار رسول الله ﷺ هضبةً مشرفةً على ميدان القتال، وجعل عليها خمسين من أمهر الرماة، وعيَّن عليهم عبد الله بن جبير الأنصاري رضي الله عنه قائداً لهم، وأمرهم أن يرموا خيل المشركين بالسهام حتى لا يهاجموا المسلمين من الخلف، وشدَّد عليهم الأمر ألا يتركوا أماكنهم مهما كانت نتائج المعركة، حتى يرسل إليهم رسول الله ﷺ ويأمرهم بترك أماكنهم، ووضع رسول الله ﷺ عليهم مسئولية كبيرة، فوعده قائد الرماة ألا يترك هو ورجاله أماكنهم حتى يذوقوا الموت!

وعبَّأ رسـول الله ﷺ جيشَــهُ، فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو الأنصـاري ﷺ، وعلى الميسرة فارسا يوم بدرٍ الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو رضـي الله عنهما، وكانت مهمة الميسرة صعبة، وهي التصدي لخالد بن الوليد فارس المشركين العنيد وفرسانه، ووضع رسول الله ﷺ في مقدمة الصفوف خيرة شجعان المسلمين وأبطالهم من المهاجرين كحمزة، وعليٍ، ومصـعب بن عمير، وأبي عبيدة، وسـعــــد بن أبي وقاص، وعبد الله بن جحش، وزيد بن حارثة، وغيرهم ﷺ، ومن الأنصـار أبطالاً، مثل: سـعد بن معاذ، وسـعد بن عبادة، وأبي طلحة، عبد الله بن حرام، وأبي دجانة، وأبي أيوب الأنصاري، وغيرهم ﷺ...

وقبل المعركة حاول أبو سـفيان زعيم المشـركين أن يوقع الخلاف في صـفوف المسلمين، فقال مخاطبا الأنصار:

- لا حاجة لنا إلى قتالكم، فاتركوا لنا محمدًا وننصرف عنكم.

فردَّ عليه الأنصـار ردًّا عنيفًا وأسـمعوه ما يكره، فهم لن يتخلوا عن رسـول الله ﷺ ولو ماتوا جميعا!

ثم خرج أبو عامر الراهب، وكان من سادة المدينة، فلما جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجرا حقد عليه، وأظهر له العداوة، وانتقل ليعيش بمكة، ثم حرضهم على قتاله، فسمَّاه رسول الله ﷺ بالفاسق، وخاطب أبو عامر قومه يعرِفهم بنفسه:

- يا معشر الأوس، أنا أبو عامر!

فقالوا:

- لا أنعم الله بك يا فاسق!

فانصرف عنهم وهو يسبُّهم، ولما بدأ القتال قاتل قتالاً شديدا وقذفهم بالحجارة، وحفر حفرا للمسلمين.

وفي صباح يوم السبت السابع من شوال عام 3هـ وقعت غزوةُ أُحد، ووقف رسول الله ﷺ يحمّس المسلمين ويشجعهم، فأمسك بين يديه سيفًا شديداً، وقال ﷺ:

- من يأخذ هذا السيف بحقه؟

فقام رجال من المسلمين يطلبون سيف رسول الله ﷺ، منهم: عمر بن الخطاب، وعليٌّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام ﵃...

وقام أبودجانة الأنصاري ﷺ، وقال:

- وما حقه يا رسول الله؟

قال رسول الله ﷺ:

- أن تضرب به وجوه العدو حتى ينحني.

فقال أبو دجانة ﷺ:

- يا رسول الله، أنا آخذه بحقه.

فأعطاه رسول الله ﷺالسيف، وكان أبو دجانة ﷺ لا مثيل لشجاعته في الحروب، فأخرج عصابةً حمراء ربطَ بها رأسه، فقالتّ الأنصار:

أخرجَ أبو دجانة عصابةَ الموتِ!

وكانَ إذا عصب رأسه بها علم الناس أنه سيقاتل حتى الموت، ثم أخذ يمشى أمام أعين الكافرين متفاخرا مختالاً، فقال رسول الله ﷺ:

- هذه مشية يكرهها الله إلا في هذا الموضع.

وبدأ القتالُ فخرج حاملُ لواءِ جيش المشركين طلحةُ بن أبي طلحة، أشجع فرسان قريش، وكانوا يســـمونه كبش الكتيبة، وكان راكبا على جمل وفي يده حربةٌ طويلةٌ يقاتل بها في مهارة وسرعة، فأسرع إليه الزبير ﷺ فوثب إليه فكان معه فوق جمله، وسقط به على الأرض وقتله، فكبَّر رسول الله ﷺ، وكبَّر المسلمون، وقال رسول الله ﷺ:

- إنَّ لكلِّ نبيٍّ حواريًّا، وإنَّ حواريي هو الزبير.

وحمل لواء المشركين بعده أخوه فقتله حمزة ﷺ، ثم قام من بعده آخر فقتله سعد بن أبي وقاص ﷺ، ثم غيره فقتله عاصــم بن ثابت ﷺ، ثم آخر فقتله الزبير ﷺ، ثم آخر قتله طلحة بن عبيد الله ﷺ، ثم آخر قتله عليٌّ بن أبي طالب ﷺ، وهكذا، كل من يحمل لواء المشركين يقتل حتى سقط لواؤهم على التراب لم يحمله أحد.

وظهرت بطولاتُ المسلمين في المعركة، وكان شعارهم: "أَمتْ.. أَمتْ"..

ووظهرت بطولة أبو دجانة ﵁ ذي العصابة الحمراء، وصاحب سيف رسول الله ﷺ، فما وجد أحداً من المشركين إلا قتله بهذا السيف، وأثناء قتاله رأى أحد جند المشركين يقتل جرحى المسلمين فرفع السيف على رأسه ليقتله، فصرخ وولول، علم أنها هند بنت عتبة كانت تلبس لبس الفرسان، فلم يقتلها، وقال ﵁:

- أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة!

ووصل المسلمون إلى قلب جيش المشركين بسرعة كبيرة، فكاد حنظلة بن أبي عامر ﵁ أن يقتل قائد جيش مكة أبا سفيان ووضع السيف على رأسه ليذبحه فطعنه أحد المشركين من الخلف، فسقط رضي الله عنه شهيداً.

وكان حمزة ﵁ أعظم أبطال المسلمين وسط المعركة كالأسد يقاتل بسيفين، يقتل كل من يلقاه من المشركين، وكان وحشي عبداً حبشيًّا حرَّضه سيدَه على قتل حمزة ﵁ ووعده أن يعتقه إن هو قتله، كما أغرته هندَ بنت عتبة بالذهب والمال إن هو قتل حمزة ﵁ ثأرا لقتله ابنها، وأبيها، وأخيها يوم بدر.

واختبئ وحشـي خلف صـخرة كبيرة يراقب حمزة ﷺ الذي كان مشـغولاً بالقتال، فلما أصــبح قريبا منه قذفه وحشـــي بالحربة فقتله، ثم انصــرف إلى ســيده في معســكر المشركين فجلس هناك.

كان للمسلمين السيطرةُ الكاملةُ على المعركة، ولم يستطع المشركون أن يواجهوا أبطال المسلمين، ولم يستطع فرسان خالد بن الوليد أن يشتبكوا بجيش المسلمين، ولا يشاركوا في المعركة؛ بسبب مهارة الرماة الذين أصابوهم بالسهام إصابات شديدة، فكانت كل محاولة منهم يصدُّها الرماةُ ببراعة.

وأيقن المشـركون من الهزيمة، وأن المسـلمين ألحقوا اليوم بهم هزيمةً لا يقل عن هزيمة يوم بدر، ففروا هاربين يتبعهم المسلمون قتلاً وأسراً.

ووقع رماةُ المسلمين في غلطةٍ فظيعةٍ، فلما رأوا المسلمين يجمعون الغنائم غادروا أماكنهم ليأخذوا نصيبهم منها!

حاول أميرهم عبد الله بن جبير ﷺ أن ينهاهم عن مخالفة أمر رسـول الله ﷺ، ويحذرهم، لكنهم عصوا الأمر ونزلوا عن الجبل، ولم يلتفتوا إلى كلامه، وبقي عبد الله بن جبير ﷺ في عشـرة فقط من الرماة صـمّموا على تنفيذ أمرِ النبي ﷺ ولو ذاقوا الموت.

كان خالدَ بن الوليد قائد فرسـان المشـركين يراقب الوضـع الجديدَ فصـعدَ الجبل بسـرعةٍ يتبعه عكرمةُ بن أبي جهل، وفرسـان المشـركين، فقاتلهم عبد الله بن جبير والرماة العشـرة الذين ثبتوا معه ﷺ بكلِ شـجاعةٍ، لكنهم لم يسـتطيعوا الصـمود أمام مائتي فارس يقودهم خالد وعكرمة فارسـا قريش العنيدان، واستشـهد الرماةُ العشـرةُ، قُتلوا قتلات شنيعة، وشوَّه المشركون أجسادهم بوحشية!

وصـرخَ خالدَ بن الوليد صـرخة عظيمة نادهم بها، فعاد جيش المشـركين المنهزم إلى القتال، وحُصر المسلمون من الأمام والخلف، فكان فرسان المشركين يقتلون من المسلمين كل من صادفوه، وأصابت المسلمين ربكةٌ شديدةٌ حتى قتل بعضهم بعضًا بالخطأ!

وظهرت شـــجاعة رســـول الله ﷺ، الذي وقف في وســـط ميدان القتال ينادي المسلمين ليجتمعوا من حوله، لكن المشركين كانوا أقرب إليه منهم، فقصدوا رسول الله ﷺ كلٌّ يريد قتله، فرموه بالحجارة حتى شُجَّتْ رأسه الشريفَ، وكُسرتْ إحدى أسنانه الأمامية، وجَرحتْ شفتَه السفلى، وسقط في حفرةٍ حفرها عدوُّ الله أبو عامر الفاسق، فجرحت ركبته، وأُصيب رسول الله ﷺ إصابات شديدة، فقال ﷺ:

- اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله.

ثم دعا لهم بالهداية، رغم ما أصابه من إيذاء على أيديهم، قال ﷺ:

- اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

وكان حول النبي ﷺ تسعةٌ من الأنصار يستميتون في الدفاع عنه، قُتلوا الواحد بعد الآخر، ووقف طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما وحدهما مع النبي ﷺ فدافعا عنه بشراسة لا تُوصف كأنهما جيشٌ وحدهما، حتى شُجَّتْ رأس طلحة رضي الله عنه ، وشُلَّتْ إصبعُه، وأصابه العرجُ، وجُرح بضعة وثلاثين جرحًا، ونثرَ رسولَ الله ﷺ لسعد رضي الله عنه سهامه، وكان يقول ﷺ:

- ارمِ سعد! فداك أبي وأمي.

وكان سعد بن أبي وقاص ﵁ ماهرا في الرماية لا يخطئ سهمه.

وأقبل فرسانَ المشركين الواحدَ بعد الآخر، كلٌّ يريد قتل النبي ﷺ، منهم ابن قمئة فارس المشركين العنيد، فضرب رسول الله ﷺ بالسيف على كتفه، وكان الرسول ﷺ عليه درعه فلم تصبه، ووجد وجعها بعد ذلك شهرا كاملاً، وضربه عدو الله من جديد بالسيف على خوذته فكسرها ودخلت حلقتان منها في خديه الشريفين!

وكانت أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها قريبة منه فلما رأت الرسول ﷺ وحده في مواجهة الكافر، رجعت إلى رسـول الله ﷺ وألقى لها رجل من المنهزمين سـيفه فضربت ابن قمئة فلم تؤثر فيه ضربتها، ثم ضربها بسيفه فأصابها، لكنها ظلت تقاتل بشجاعة كالرجال!

وجاءه عتبةُ بن أبي وقاص فارس آخر عنيد من فرسان المشركين فضرب وجه رسول الله ﷺ الشريف بحجر، فتبعه حاطب بن ابي بلتعة ﵁ وقتله.

وكانت هذه المرحلة أحرجَ مرحلةٍ من المعركة وأخطرها على حياة رســولِ الله ﷺ، فقاتل الصحابةُ ببسالةٍ للدفاع عنه، كما تولّت الملائكةُ حراسةَ النبيِّ ﷺ، كان جبريل وميكائيل يقاتلان حوله في هيئة فارسـين عليهما ثياب بيض، وعصـم الله تعالى نبيَّه من المشركين فحين أراد عبد الله بن شهاب الزهري قتل النبي ﷺ، وانطلق في طريقه إليه، وهو يقول:

- لا نجوتَ إن نجا محمداَ!

فمر بجانب الرسول ﷺ ، فلم يفعل له شيئاً وتركه، وكان الرسول ﷺ وحده، فلامه أحدَ المشركين كيف يتركه وهو وحده، فقال فارس المشركين:

- إني لم أره، وقد علمتَ أنه ممنوع.

وقاتل مصـعب بن عمير رضي الله عنه بضـراوة، ودافع عن الراية حتى قُتل وهو يحتضـنها، قتله ابن قمئة وهو يظن أنه قتل النبي ﷺ؛ لأن مصـعب رضي الله عنه كان يشـبه رسـول الله ﷺ، وصاح ابنَ قمئة:

- قتلتَ محمدًا!

ورفع عليٌّ بن أبي طالب ﷺ الرايةَ وقاتل بها باقي اليوم.

وبعد أنْ شـاعَ في المسـلمين أنَّ رسـول الله ﷺ قد قُتل، وحاصرهم المشركون من الأمام والخلف وقتلوا منهم الكثير، انـهارت الروح المعنويـة لبعض المســــلمين فألقوا أسـلحتهم لا يعرفون ما يفعلون، لكن أثناء ذلك ظهرت بطولـة بعض المسـلمين، فقال أنس بن النضر ﷺ لقومه:

- ماذا تفعلون في الحياة بعد رسول الله ﷺ، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ!

واخترق صفوف المشركين يقاتلهم حتى قتلوه وملأوا جسده بالطعنات حتى تغيرت ملامحه، فلم تعرفه إلا أخته بعلامة في جسده.

وفعل ثابت بن الدحداح ﷺ مثلما فعل أنس بن النضر ﷺ، وقال ﷺ:

- يا معشر الأنصار، إن كان محمدٌ قد قُتل، فإن الله حيٌّ لا يموت، قاتلوا على دينكم!

وقاتل هو وفئة معه من الأنصـــــار فرســـــان خالد بن الوليد، فقتله خالد وقتل أصحابه.

وبمثل هذا الاســتبســال والشـجاعة عادت إلى المســلمين روحهم المعنوية العالية، فقاتلوا جيش المـشركين، وهم يحاولون أن يشقوا لهم طريقًا إلى مقرِ قيادة النبي ﷺ، خاصــــةً بعد علموا أنَّ خبر قتله ﷺ كان كذب، فزادهم ذلك قوةً وبدأوا القتال من أماكنهم الجديدة بعد أن عدَّلوا من أوضاعهم وأفلتوا من حصار المشركين.

وعرف المسلمون مكان رسول الله ﷺ، ولم يكن بقي معه إلا طلحة بن عبيد الله، وســعد بن أبي وقاص رضــي الله عنهما وحدهما يدافعان عنه، فانطلقوا إليه في خفة الطير: أبو بكر، وعمر، وعليٌّ، والزبير، وأبو عبيــدة، وأبو دجــانــة، وأبو طلحــة، وغيرهم... ثلاثون رجلاً أحاطوا بالنبي ﷺ، ودافعوا عنه بكل قوة وشجاعة.

ورغم تجمع أصحاب رسول الله ﷺ حوله، إلا إن ضغط المشركين ازداد، واستمات الصـــحابة في الدفاع عن النبي ﷺ، وأحاطوا به، وســـقطت الســـهام على النبي ﷺ كأنها المطر فاحتضنه أبو دجانة رضي الله عنه فسقطت السهام في ظهره حتى أصبح ظهر أبي دجانة رضي الله عنه مثل جسد القنفذ من كثرة السهام وهو ثابت لا يتحرك!

وجعل أبو قتادة ﷺ وجهه أمام الرسـول ﷺ فسـقط سـهم في عينيه فسـالت عينه على خده، فردَّها رســول الله ﷺ له في مكانها، فأصــبحت أجمل عيني أبي قتادة رضي الله عنه وأحدَّهما نظرا، في معجزة لرسول الله ﷺ.

ووقفَ أبو طلحة ﷺ أمام النبي ﷺ ليحميه بصـــــدره، ونبيُّ الله يعطيه الســـــهام ويرمي بها، حتى تكسَّرت بين يديه رضي الله عنه ثلاثة أقواس من شدة الرمي.

وحاولَ فرســـانُ المشـــركين الوصـــولَ إلى رســـولِ الله ﷺ فتصـــدَّى لهم أبطال المسلمين، فردُّوهم جميعا، واستطاعوا أن ينسحبوا برسول الله ﷺ إلى شقٍ واسع في الجبل فاحتموا به، واستند الرسول ﷺ على الجبل.

واتجه أبيٌّ بن خلف على فرسه إلى رسول الله ﷺ يريد قتله، فأخذَ رسول الله ﷺ حربةً فقذفه بها، فوقعت بين دروعه وأصـــابته في رقبته، فتدحرج عدوٌّ الله أبي بن خلف من فوق الفرس، وحمله قومه وهو يصـيح، وقومه يعجبون؛ لأن الإصـابة لم تكن خطيرة، وكان يقول:

- قتلني محمد، كان قال لي بمكة أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني.

وماتَ عدوٌّ الله في طريقه إلى مكة، وقال رسول الله ﷺ:

- اشتد غضب الله على من قتله النبيٌّ في سبيل الله.

ولم يعرف أن رسول الله ﷺ قتل بيده أحداً غيره.

وصعد المسلمون برسول الله ﷺ مكانًا آمنًا بالجبل، وقام المشركون بآخر هجوم على الرسول ﷺ ، فصعدتْ الجبل كتيبةٌ من المشركين يقودها أبو سفيان وخالدَ بن الوليد، فتصـدى لهم عمر بن الخطاب ﷺ وعددٌ من المهاجرين، ورماهم سـعدَ بن أبي وقاص ﷺ بالسهام، حتى ردُّوهم وأهبطوهم من الجبل.

واستقر رسول الله ﷺ في موضع آمن بالجبل، فقام أصحابه بغسل أثر الدماء من وجهه، وسقوه، وصلى رسول الله ﷺ قاعداً من أثر الجراح، وصلى المسلمون خلفه قعوداً.

ولما استعد جيش المشركين للإنصراف، أراد أبو سفيان أن يعرف حقيقة ما أُشيع عن قتل رسول الله ﷺ، فأشرف على الجبل ونادى في المسلمين:

- أفيكم محمدٌ؟

فأشار النبيُّ ﷺ إلى أصحابه ألا يجيبوه!

فقال أبو سفيان:

- أفيكم أبو بكر؟

فلم يجيبوه.

فقال:

- أفيكم عمر؟

فلم يجيبوه.

فسخر أبو سفيان من المسلمين، فلم يملكَ عمر ﷺ نفسه، فقال له:

- يا عدوَّ الله إن الذين ذكرتهم أحياء، وسينالك منهم ما يؤذيك.

ثم قال أبو سفيان:

أعل هبَل!

فقال رسول الله ﷺ:

أجيبوه! قولوا:

- الله أعلى وأجل!

فأجابوه.

قال أبو سفيان:

- لنا العزَّى ولا عزَّى لكم.

قال رسول الله ﷺ:

- قولوا له: الله مولانا ولا مولى لكم!

فأجابوه.

ثم نادى أبو سفيان على عمر رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺلعمر رضي الله عنه:

- اذهب فانظر ماذا يريد!

فذهب إليه.

فقال أبو سفيان:

- أنشدكَ الله يا عمر، أقتلنا محمداَ؟

قال عمر رضي الله عنه:

- لا، وإنه ليستمع إلى كلامك الآن.

فقال أبو سفيان:

- أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبرّ.

وبعث رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه ليراقب خط سير جيش المشركين بعد المعركة، وقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه:

- إن كانوا ركبوا الإبل وساقوا الخيل فهم راجعون إلى مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم عائدون لقتالنا، فإن فعلوا لأخرجنَّ إليهم وأقاتلنهم.

فذهب عليٌّ رضي الله عنه، فرآهم ركبوا الإبل في طريقهم إلى مكة.

ومرَّ رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم على القتلى والجرحى في ميدان المعركة فوجدوا حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه في القتلى يتقاطر منه الماء، فأخبرهم رسول الله ﷺ أن الملائكة غسلته.

وكان منظر الشهداء يمزق القلب حقًا، فقد مثل بهم الكافرون وشوَّهوهم تشويهًا شديدًا، قطعوا آذانهم وأنوفهم، وجرحوا وجوههم جروحا شديدة، وبقروا بطونهم وأخرجوا أحشاءهم!

ونظر رســـول الله ﷺ فرأى حمزة عمه رضي الله عنه، كانت هند بنت عتبة التي اســـتأجرت وحشي لقتله قد شوهته وأخرجت كبده لتأكله، فشهق رسول الله ﷺ من هول ما رأى، وبكى عليه وانتحب، حتى ارتفع صوته بالبكاء.

وأمر رسول الله ﷺ بدفن الشهداء في أماكنهم، وألا يغسلوا، وأن يدفنوا في ثيابهم بعد أن نُزِع عنها الحديد والجلود، وكان يدفن الاثنين والثلاثة في قبر واحد.

واستشهد من المسلمين سبعون، من المهاجرين أربعة، وباقي الشهداء كانوا من الأنصار.

وأمر الرسول ﷺ أصحابه أن يستووا خلفه صفوفًا، ووقفَ يحمدَ الله تعالى، ويثني عليه، ويذكر فضـــله، ويشـــكره أن هداه وهدى من معه إلى الإســـلام، والمســـلمون يؤمنون على دعائه...

وعاد رســـول الله ﷺ والمســـلمون إلى المدينة، وفي الطريق كانت امرأةٌ من أهلِ المدينة قد استشهد في الغزوة زوجها، وأخوها، وأبوها، فأخبروها بقتلهم، فلم تهتم إلا بالسؤال عن رسول الله ﷺ، فأخبروها أنّه بخير، فقالت:

- أريد أن أراه حتى يطمئن قلبي.

فلما رأته حمدت الله تعالى أن حفظ رسولِه ﷺ، ولا يهم شيء عندها غير ذلك.

وجاءت إلى رسول الله ﷺ أمُّ سعد بن معاذ رضي الله عنه، فعرَّفه بها ابنها سعدٌ رضي الله عنه، فرحَّب بها الرسول ﷺ، وعزَّاها في ابنها عمرو بن معاذ رضي الله عنه، فحمدت الله أن رأت رسول الله ﷺ سالما، ودعا رسول الله ﷺ لها ولأهالي الشهداء بخير، وقال ﷺ:

- يا أمَّ سعد، أبشري وبشِّري أهلَهم أنَّ قتلاهم ترافقوا في الجنةِ جميعاً، وقد شفعوا في أهلهم جميعا.

فقالت رضي الله عنها:

- رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد ذلك؟

وباتَ المسلمون في المدينة ليلة الأحد الثامن من شوال بعد المعركة في حالة طوارئ واستعداد، وهم جرحى منهكون من التعب، يحرسون مداخل المدينة، ويحرسون رسول الله ﷺ، ونادى رسول الله ﷺ في أصحابه

ليخرجوا لعدوِهم خارج المدينة مخافة أن يرجعوا إليهم، فخرجَ رســـول الله ﷺ ومن حضــر معه غزوة أحد، حتى وصــلوا إلى حمراء الأســد وهو مكان يبعد عن المدينة ثمانية أميال.

وكان ما رآه الرسول ﷺ حقًا، فقد قرَّر جيشُ مكة العودة لقتال المسلمين مستغلين ما أصــابهم من هزيمة، لكن الله تعالى قذفَ الرعب في قلوب المشـركين فلم يخرجوا، بينما خرج رسـول الله ﷺ لقتالهم، وأقام هو وأصـحابه بحمراء الأسـد ثلاثة أيام، ثم عادوا إلى المدينـة.

ولم يكن للمشـركين في هذه الغزوة نصـرا حقيقيًّا، على الرغم من قتلى المسـلمين السـبعين؛ لأن المشـركين لم يأخذوا من المسـلمين أسـرى، ولم يحصـلوا على غنائم، واستطاع المسلمون رغم الارتباك الشديد وكثرة قتلاهم أن يقاوموا بشجاعة ويتجمعوا حول رسـول الله ﷺ في مقر قيادته، بل لم تسـقط رايتهم، ولم يتمكن جيش مكة من مهاجمة المدينـة، ولم يتمكنوا من قتل رسول الله ﷺ.

وأهم ما في هذه الغزوة أن الله أراد أن يعلِّم أصـــحاب النبي ﷺ ويعلِّمنا دروسًـــا مهمة، منها لزوم طاعة الرسول ﷺ وعدم مخالفة أمره.

وما جرى للمسلمين في هذه الغزوة، إلا بسبب مخالفة أغلب الرماة للأمر الرسول ﷺ طمعاً في الغنائم، فكانوا سبباً مباشراً في قتل إخوانهم العشرة الذين نفّذوا أمر النبي ﷺ ولم يتركوا أماكنهم حتى قُتلوا وهم يدافعون عن أماكنهم، وكانت مخالفة الرماة سببا في ضياع نصر المسلمين، وانقلاب الوضع إلى هزيمة، قُتل فيها سبعين من خيرة المسلمين، وكاد يقتل رسول الله ﷺ، لولا حفظ الله تعالى له، واستماتة الصحابة في الدفاع عنه.

كما بيَّنت هذه الغزوة قيمة جيل الصحابة ومدى حبهم للنبي ﷺ وفدائهم له بروحهم ودمائهم، فهو أغلى عندهم من أهلهم وأبنائهم، ومن أنفسهم وأرواحهم.

كما كانت هذه المحنة مهمة في إظهار المنافقين الذين كانوا مختفيين بين صفوف المسلمين، وقد عرفوا من وقتها وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول الذي رفض ومن معه القتال وانسحبوا من جيش المسلمين في أحرج أوقات المعركة.

وما وقع للمســـلمين في هذه الغزوة من قتل وتشـــويه لم يكن إلا لحبِّ الله تعالى لأصحاب النبي ﷺ ، فرزقَ كثيرٌ منهم الشـهادة، ليكافئهم، ويسكنهم في أعلى منازل الجنة التي أعدَّها للشـهداء، فقد أحبوا الله حبًّا صـادقًا وماتوا في سـبيله، فكان جزاء الله لهم الجنةَ، وليس أغلى من رضا الله تعالى وجنته.